حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

إجراءات الخليفة المهدي في ميدان الإصلاح الاقتصادي بالدولة العباسية (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م)

انيسة محمد جاسم *

جامعة بغداد/كلية الآداب/ قسم التاريخ

المستخلص

هذا بحث يتناول (**إجراءات الخليفة المهدي في ميدان الإصلاح الاقتصادي بالدولة العباسية ١٥٨-١٦٩ه /٧٧٤- ٧٨٥م**)، ولعل سبب اختياري الإصلاح الاقتصادي لما للجانب الاقتصادي من أهمية تعكس قوة اوضعف نظام الحكم ،فضلاً عن اعتماد المؤسسات كافة على موارد الاقتصاد في تمشية امورها ، ومما ما دفعني إلى دراسة الإصلاح الاقتصادي من قبل الخليفة المهدي دون غيره من خلفاء بني العباس، ذلك لان هذا الخليفة خطى خطوات لإصلاح اقتصاد الدولة العباسية بشكل ملموس ، فشخّص الخليفة المهدي مواضع الخلل في الميدان الاقتصادي وحدد السلبيات في هذا الجانب ،وسعى لتحسين أداء الأراضي الزراعية وزيادة الموارد المتأتية منها ، فغير نظام الخراج من نظام المساحة الى نظام المقاسمة ،بعد أن وجد إن السعر قد رخُص فلم تعد الغلال تفي بخراجها ليضمن جباية عادلة لايتضرر من خلالها بيت المال أو المزارع ،وعين عمال خراج أكفاء ،ووفرَّ مصادر الإرواء للأراضي الزراعية من خلال قيامه بشق الأنهار ، وحفر الابار ، واهتم باراضي الصوافي ووهبها لمن يستحقها،كما اقدم على منح القطائع لبعض الفئات في المجتمع ، وابدى اهتماماً ملموساً بالصناعة والتجارة فنجده قد شجع الصناعات المختلفة من خلال توفير رؤوس الأموال للعاملين، وسعى الى بناء الأسواق لتصريف منتجات الزراعة والصناعة ،وشجع عمليات التصدير ،وحرص على توفير العملة النقدية من خلال سك دراهم جديدة ،واستحدث دواوين جديدة ارتبطت بالجانب الاقتصادي .

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة

هذا بحث يتناول (**إجراءات الخليفة المهدي في ميدان الإصلاح الاقتصادي بالدولة العباسية ١٥٨-١٦٩ه /٧٧٤- ٧٨٥م**)،وهو موضوع مهم لأنه يتصدى لجانب حيوي تمثل بالميدان الاقتصادي، الذي أحيط بالرعاية والاهتمام من قبل احد خلفاء الدولة العباسية، إلا وهو الخليفة المهدي،ولعل سبب اختياري الإصلاح الاقتصادي دون غيره من الميادين لما للجانب الاقتصادي من أهمية واضحة وحيوية تعكس قوة أو ضعف نظام الحكم ،كما ان هذا الجانب يمثل ركن رئيساً في هيكلية البناء للدول الحاكمة، ومن بينها الدولة العباسية ،فضلاً عن اعتماد المؤسسات كافة على موارد الاقتصاد في تمشية امورها ،فان أي خلل في هذا الجانب يسترعي الحيطة والحذر من قبل رجال الحكم والسلطة ،لأنه نذير ببداية العجز عن تمويل مشاريع الدولة المختلفة ،ومؤشر بفقدان زمام السيطرة على ما يتطلبه الحكم من تهيئة مصادر المعيشة لمختلف فئات المجتمع ،التي تكون ضمن مسئوليات الحكم وواجباته،كما إن النهوض بالاقتصاد يعد دليل على حسن الإدارة والتدبير من قبل ولاة الأمر ،ومما ما دفعني إلى دراسة الإصلاح الاقتصادي من قبل الخليفة المهدي دون غيره من خلفاء بني العباس، ذلك لان هذا الخليفة خطى خطوات لإصلاح اقتصاد الدولة العباسية بشكل مميز وملموس،وظل أثره في العهود التالية لعهده بشكل لا نجده عند غيره من الخلفاء ،فكانت لجهوده الإصلاحية سيما في الجانب الاقتصادي آثارها على كافة الأصعدة ،لذلك سعيت لتتبع إجراءات هذا الخليفة لإصلاح الاقتصاد ولتلافي الخلل والإخفاقات التي أصابت المؤسسة الاقتصادية قبل عهده ، مما أعطى عهده سمة إصلاحية ميزته على بقية الخلفاء سيما انه تولى الخلافة في عهود تأسيسها الأولى ،الأمر الذي استلزم جهود مضاعفة من قبل الخلفاء الأول للنهوض بالبلاد وتثبيت دعائم الحكم فيها .

وقد انتظمت هذه الدراسة بمقدمة ومحورين ،وخاتمة بالنتائج التي توصلت لها ،وثبت بالمصادر والمراجع التي ذكرتها بشكل مفصل بالهوامش،على النحو الاتي ، استعرضت في المحور الأول :(اهمية العامل الاقتصادي في قيام الحكم العباسي) ،واشرت في المحور الثاني الى :(مبادرات الخليفة المهدي للإصلاح الاقتصادي) فتناولت دور الخليفة المهدي في تحسين أداء الزراعة ومضاعفة مواردها، من خلال: تعديل جباية الخراج،واقدامه على حفر الانهار وموارد المياه الأخرى،واهتمامه بأراضي الصوافي، و منحه القطائع لبعض الفئات، ودوره في إحياء مبدأ الإحماء، فضلاً عن تسليط الضوء على تشجيعه الصناعة والتجارة اللذان يمثلان اللبنة الرئيسة للبناء الاقتصادي ، برزّت جهود المهدي في سك عملة نقدية جديدة، كما ذكرت الدواوين التي استحدثها المهدي بقدر علاقتها بالجانب الاقتصادي ،وبينت دور المهدي في توظيف الجانب السياسي لإدرار الموارد الاقتصادية ،وختمت الموضوع بالإشارة الى اثر الانتعاش الاقتصادي في ميادين الإنفاق التي أقدم عليها الخليفة المهدي.

وبطبيعة الحال لا يخلو أي عمل أكاديمي من صعوبات في جمع المادة وانتقاء النصوص القيمة التي تعكس ما يعالجه الموضوع ،إلا انه وبعون الله ذُللت الصعاب أمام ما اطلعت عليه من مصادر ومراجع قيمة كانت محور الدراسة بتنوع اختصاصاتها سواء أكانت بالتاريخ العام أم المحلي ،و كتب التراجم والطبقات التي اسعفتني بالتعريف بالاعلام الواردة في متن البحث،وكتب الأحكام التي عولت عليها في استقاء مادة غنية برزّت جهود المهدي الاصلاحية ،كما استفدت من كتب البلدان والفتوح التي عرفت ببعض المواقع والأماكن التي طالتها إصلاحات المهدي ،واعانتني كتب اللغة في التعريف بالكثير من

الألفاظ المبهمة في البحث ،فضلاً عن مصادر أخرى ذكرتها في الهوامش ،ولا ابخس فضل المراجع الحديثة التي أسعفتني بمعلومات قيمة وردت في ثناياها كان لها الأثر في تعزيز قيمة المادة العلمية التي أوردتها في بحثي،والذي ارجو ان اكون قد وفقت من خلاله في التعريف بقيمة الجهود الإصلاحية التي قام بها الخليفة المهدي في ميدان النهوض باقتصاد الدولة العباسية .

اولاً- اهمية العامل الاقتصادي في قيام الحكم العباسي:

يعد الجانب الاقتصادي من المرتكزات الرئيسة في حياة الافراد ،وفي قيام انظمة الحكم او سقوطها بامتداد عصور التاريخ،ذلك ان ازدهار الميدان الاقتصادي في نواحيه المختلفة سواء الزراعة او الصناعة او التجارة ،فضلاً عن المشاريع الاقتصادية الاخرى كفيلاً بضمان حياة معيشية مرفهة، ينعكس اثرها على مستوى معيشة طبقات المجتمع المختلفة ،كما يظهر اثرها في نفقات الدولة على مؤسساتها كافة ،الأمر الذي يدعم مركزها في الحكم ،لذلك يمكن القول ان الازدهار الاقتصادي ذا علاقة طردية مع مستوى معيشة الافراد وتثبيت نظام الحكم والسلطة ،والعكس صحيح فان تدهور هذا الجانب بمؤسساته سيؤثر سلباً على مستوى المعيشة وعلى موارد الانفاق ،مما يثبت عجز السلطة الحاكمة عن تهيئة متطلبات الحياة لأفراد رعيتها وبالتالي ستفقد تأييدها ، وتظهر المعارضة لها بأشكال مختلفة من ثورات اوتمردات تزعزع كيان الدولة وتكون معول هدم فيها،والتاريخ حافل بالشواهد التي تؤيد ذلك ،وهذا مالمسناه في الحقب الاخيرة من الحكم الاموي إذ ان التدهور الاقتصادي كان بيّناً في الدولة الاموية ، وهذا ما شجع القائمين بالدعوة العباسية على البحث عن اكثر الاقاليم ضرراً من الناحية الاقتصادية لكسبها الى صف المعارضة للأمويين ،فوجدوا في اقليم خراسان[١] غايتهم المنشودة، ذلك لأنه ضم فئات واجناس بشرية عانت من تدهور النظام الاقتصادي ابان حكم الأمويين ،والذي أثر بشكل كبير فيهم فكان في خراسان الجند الذين حُرموا من أرزاقهم بسبب العجز المالي[٢] ،فضلاً عن الموالي وهم المسلمون غير العرب[٣] ،الذين دفعوا الجزية[٤] للأمويين بالرغم من دخولهم في الاسلام ،وهذا المورد ينبغي ان يسقط عن الذمي بعد دخوله الإسلام[٥] ،وعانى الفلاحون ومُلاك الأراضي من زيادة ضريبة الخراج[٦] التي فُرضت على الاراضي الزراعية بنسبة عالية لا تتناسب وقيمة الإنتاج ،مما اضطروا إلى الاقتراض لتسديد هذه الضريبة الى بيت المال الذي جار على الناس لسد العجز الذي يعانيه ،وادت هذه السياسة ان يفقد الأمويون تأييد الرعية لهم، فوجدوا في الدعاة العباسيين الذين وعدوهم بالإصلاح، وتخليصهم من ذلك الضرر ورفع مستوى معيشتهم املاً في التخلص من الأمويين، لذلك انضووا تحت لواء بني العباس مما أسهموا بشكل فاعل في سقوط الامويين[٧]. وهذا بدوره يؤكد لنا خطورة التدهور الاقتصادي على مصير الحكم.

ومن هذا المنطلق ادرك بنو العباس اهمية الجانب الاقتصادي في كسب تأييد الرأي العام الذي يمثله ابناء الرعية الذين انضووا تحت لوائهم ،فنجد ان الخليفة العباسي الاول ابو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦ه/٧٤٩- ٧٥٣م)[٨] أراد ان يدعم مركز الأسرة العباسية في بواكير اعتلائها السلطة، لذا نراه يُضمن أول خطبة القاها عند مبايعته في مسجد الكوفة عام ١٣٢ه/٧٤٩م جوانب اقتصادية ،اشار بها إلى أن اغتصاب الأمويين لحقوقهم المادية كان من بين الاسباب التي دعتهم للخروج عليهم، كما وعدهم بالإصلاح ،إذ قال:((...ثم وثب بنو حرب[٩] ومروان[١٠]، فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها،

واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى أسفوه، فلما أسفوه انتقم منهم بأيدينا، ورد علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وولى نصرنا والقيام بأمرنا، ليمن بنا عَلَى الَّذِينَ استضْعِفُوا فِي الْأَرضِ، وختم بنا كما افتتح بنا ،واني لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله ،يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا،أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم، حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير))[١١]،وأكد (داود بن علي)[١٢] هذا التوجه بقوله: ((وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا ...وما كرثنا من أموركم، وبهظنا من شؤونكم ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا، ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم وخرقهم بكم واستذلالهم لكم ،واستئثارهم بفيئكم [١٣]وصدقاتكم ومغانمكم عليكم ...))[١٤].

لذا نجد إن العباسيين ما أن اعتلوا الحكم حتى باشروا بإصلاحات في ميادين الحياة الاقتصادية إدراكاً منهم اهمية هذا الجانب في تثبت مركزهم السياسي،فضلاً عن أثره في تحقيق إصلاحات مختلفة تشمل كل مفاصل الحياة التي اشرف عليها الخلفاء انفسهم، وتندرج تحت مسئولياتهم ،فسعوا لتجنب الأخطاء التي وقع بها خصومهم الأمويين ،ونجد ان الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨ه/ ٧٥٣ - ٧٧٤م)[١٥] عندما باشر بإرساء دعائم الدولة ببناء العاصمة بغداد عام١٤٥ه/ ٧٦٢م وضع نصب عينيه اهمية العامل الاقتصادي كعنصر رئيس في خطوة بناء مركز الحكم من حيث بنائها في موقع يساعد على ازدهار الحياة الاقتصادية فيها، وينعكس اثره ايجاباً على امصار الدولة الاسلامية، وذلك بتوفر التربة الصالحة للزراعة، ووقوعها على مجاري الانهار مما يساعد على النشاط الزراعي والصناعي والتجاري[١٦]،وفضلاً عن ذلك ان هذا الخليفة كان يدرك الأبعاد المهمة للناحية الاقتصادية عندما قرر ان يبني الرصافة[١٧] لولده وولي عهده (محمد المهدي)[١٨] الذي يمثل موضوع بحثنا،فأوصاه ان يتمسك بها وان لايستبدلها بمقر آخر عندما يلي الخلافة، ذلك لأهميتها الاقتصادية ،وماحوته من موارد مادية يمكن ان يستعين بها في تمشية أمور البلاد ،ولنا ان نقف على نص وصية المنصور للمهدي قائلا: ((وانظر هذه المدينة فإياك أن تستبدل بها، فإنها بيتك وعزك، قد جمعت لك فيها من الأموال ما إن كُسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور ،فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً))[١٩].

ويبدو إن وصية المنصور لولده المهدي أتت أُكلها ، لذا ما إن تسلم مقاليد الحكم حتى باشر بالقيام بإجراءات اقتصادية ذات طبيعة إصلاحية هدفها معالجة الخلل في البنية الاقتصادية ،والتي كانت من مخلفات النظام السابق ، ثم النهوض باقتصاد الدولة العباسية لما في ذلك من اثر في تثبيت اركان الحكم العباسي .ولنا ان نقف في هذه الدراسة على اجراءات المهدي لتحقيق النهوض الاقتصادي بالدولة.

ثانياً – مبادرات الخليفة المهدي للإصلاح الاقتصادي:

استهل الخليفة محمد المهدي عهده بإتباع سياسة مختلفة عمّن سبقه من الخلفاء، ذلك انه اتبع سياسية اللين والاسلوب الدبلوماسي السلمي لكسب خصومه، فضلاً عن الموالين له ،وكان للجانب الاقتصادي الأثر الفاعل في ميدان التهدئة السياسية التي سعى لها هذا الخليفة، فنجده قد استخدم الموارد المادية لمصالحة خصومه او تهدئة الاقاليم الثائرة [٢٠]،لذلك كان الانفاق المالي وسيلة من وسائل المهدي للمهادنة السياسية ،فاتسم عهده

بالهدوء والاستقرار السياسي فلم يشهد ثورات او حركات مناهضة له ،وهذا كان له دور في اعطاء الفرصة للمهدي لمضاعفة جهوده لتحسين أداء المؤسسة الاقتصادية وزيادة مواردها، للاستفادة منها في ميدان السياسية، فضلاً عن دعم موارد الإنفاق الأخرى التي تفرضها شؤون الحكم والادارة من مستحقات الصرف، ومن إجراءاته في هذا الصدد نذكر:

١-دور الخليفة المهدي في تحسين اداء الزراعة ومضاعفة مواردها:

أ-تعديل جباية الخراج:

تعد الزراعة ركناً رئيساً في الحياة الاقتصادية ،فأدرك الخليفة المهدي ضرورة الالتفات إلى هذا الجانب من خلال العناية بالأراضي الزراعية واستثمارها ،بتوفير التسهيلات لملاك الأراضي والعاملين فيها، مما خلق الحافز لديهم للاجتهاد في زيادة فاعلية النشاط الزراعي وبالتالي انعكس ايجاباً على مستوى معيشتهم،وزاد من نشاط الأسواق من خلال ما يُطرح فيها من منتجات،فضلاً عما لذلك من اثر في إدرار مورد الخراج الذي يمثل ثمن كراء الارض ،وهو مصدر رئيس ضمن الايرادات التي تنصب في بيت المال[٢١]، فكانت اولى الخطوات لاعادة تنظيم جباية الخراج ابان عهد المهدي انطلاقه من القاعده الفقهية التي اكدها الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله:((لا ضرر ولا ضرار))[٢٢]في معالجته المشاكل المتعلقة بالزراعة ،ومن بينها مقادير جباية الخراج الذي لم يحدده الشرع بمقدار معين بل ترك تقديره لإجتهاد الإمام ، يقدره وفقاً ما يراه من مصلحة الراعي والرعية ، وما يناسب الظروف المواكبة لعهده[٢٣]، فوجد المهدي ان الخراج الذي فُرض على سواد العراق منذ العصر الراشدي وظل معمولاً به الى عهده وهو خراج المساحه[٢٤] –أي يوخذ الخراج على مساحة الارض سواء زُرعت ام لم تُزرع– لم يعد يلائم ظروف الدولة الجديدة، ذلك لأن السعر قد رخُص فلم تعد الغلال تفي بخراجها[٢٥] ،فوجد إن الاستمرار في جباية الخراج وفقاً لهذه الطريقة يُلحق ضرر بمُلاك الاراضي الزراعية وان كان فيه فائده لبيت المال ،وبعد ان تدارس الموضوع مع اهل الرأي والشورى ومن بينهم وزيره الكفء (ابو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار)[٢٦] الذي اقترح على الخليفة تغيير نظام جباية الخراج من نظام المساحة الى نظام المقاسمة، وذلك بان تأخذ الدولة نسبة من المحصول بعد نضجه وفقاً للجهد المبذول في زراعته ،وبذلك يضمن عدم الحاق الضرر بالمزارع وببيت المال معاً سواء ارتفع السعر ام انخفض ،علماً ان هذه المبادرة الاصلاحية كان الخليفة المنصور قد عزم على تنفيذها إلا أن وفاته حالت دون ذلك، فترك الأمر لولده وخليفته المهدي[٢٧]،ونجد ان هذا الوزير تبنى اقتراح التغيير على الخليفة بعد ان عهد له الخليفة المهدي دراسة مساوئ نظام المساحة وايجابيات نظام المقاسمة، ويبدو انه قدم تقريره للخليفة عن مساوئ نظام المساحة ابان عهده وبأنه ان كان ملائماً للمرحلة السابقة واعني بها مدة فرضه لم يعد ملائما للمرحلة التي تقلد بها العباسيون الحكم ،ولنا ان نقف على تقرير وزير الخليفة مبيناً من خلاله مساوئ نظام المساحة للمهدي، قائلاً: ((على أهل الخراج من الحيف ان ألزموا مالاً معلوماً أو طعاماً محدوداً، وجُعل ذلك على كل جريب[٢٨] لما لا يؤمن من تنقل الأسعار في الرخص والغلاء، فإذا غلت وصل اليهم من المرفق ما لعل الامام لا يسمح به،وان رخصت عاد عليهم من الضرر ما لا يحل له أن يعاملهم بمثله، الى ما يعود على المال بالنقص وعلى الإسلام بالضرر، لما يحتاج اليه من أعطيات الجند وسائر وجوه

النفقات))[٢٩] .وهنا نجد ان الوزير كاشف الخليفة بأبعاد جباية الخراج وفقاً لنظام المساحة، مبيناً له إن سلبياته تتمثل بأن المال سيكون حكراً على أصحاب الأراضي إذا ما ارتفعت أسعار محاصيلهم ،ويتضرر بيت المال لقلة نسب أموال الخراج المقدرة على مساحة الأرض وبالتالي سيواجه بيت المال عجز لا يستطيع الإيفاء بوجوه الصرف المترتبة عليه من الإنفاق على المؤسسة العسكرية والمرافق الأخرى ،اما في حال رخصت أسعار المحاصيل فسيكون المزارع هو المتضرر لأنه سيدفع خراجاً كبيراً قد يكون اكبر مما حصله من إنتاج أرضه، وهذا وان سيضمن دخلاً جيداً لبيت المال إلا انه إجحاف بحق ملاك الأراضي الذين يمتلكون الارض ويجتهدون في زراعتها، ولا يستفادون من جهدهم لأنهم سيخسروه بتسديد خراج للدولة ،ونجد إن وزير الخليفة كان حريصاً على توضيح ايجابيات هذا التغيير في جباية الخراج ، بالاقتداء بسياسة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عند فتحه خبير[٣٠] ،فوجد ان المصلحة تقضي بفرض خراج المقاسمة على نصف المحصول ،لذلك نجد إن الوزير أشار بالرأي الصائب على الخليفة في تحديد مقادير الخراج بنسب معينة وفقاً للمصلحة ، قائلاً: ((...ان الأولى أن يجرى في معاملة أهل السواد الى مثل ما فعله رسول الله –صلى الله عليه واله وسلم– في خيبر فأنه سلمها الى أهلها بالنصف، وأشار بحمل أهل السواد في الدوالي[٣١] على الثلث لما يلزمهم بسببها من المئونة، وفي الدواليب[٣٢] على الربع لان مئونتها أغلظ وبالأ،ولا يلزموا بعد ذلك كلفة... بوجه ولا بتعب إلا الحصاد والرفاع ،ويؤخذ التبن منهم على حسب المقاسمة وان أحبوا ابتياعه بويعوه بسعر وقته...))[٣٣].

وبذلك نجد ان المقادير التي اتفق على أخذها كضريبة للخراج كانت وفقاً للجهد المبذول في زراعتها ،وطريقة إروائها فالأراضي التي تسقى بالمطر او سيحاً ولا يبذل بها المزارع جهداً يكون خراجها نصف المحصول،والأراضي التي تسقى بالجداول يؤخذ منها خراج بنسبة الثلث، اما الاراضي التي تسقى بالادوات الرافعة يكون خراجها الربع من الغلة[٣٤] لصعوبة طريقة الإرواء وما تستلزمه من جهود مضاعفة قياساً بطريقتي الإرواء السابقتين، وهذا بدوره يضمن العدالة في جباية الخراج وعدم إلحاق ظلم بأصحاب الأراضي،ووجد المهدي إن المصلحة العامة تقضي باستثناء الأراضي المزروعة بالاشجار المعمرة كالنخيل والكروم من هذا التغيير بل يبقى خراجها وفقاً لنظام المساحة القديم ،بناءاً على اقتراح وزيره الذي جاء فيه: ((ويعمل في مساحة الكروم وسائر الشجر ...على ما يوجبه الحكم بالحق فيها من النظر الى قيمة ما يحصل منها...)) [٣٥]، ونؤكد على عدالة هذا الإجراء وتوخيه المصلحة العامة انه دُرس بشكل متأني ودقيق من قبل الخليفة ووزيره ،اللذين وضعا نصب أعينهما ان تحديد تلك المقادير على الإنتاج الزراعي لابد ان يكون وفقاً لـ((...قربه وبعده من الفرض[٣٦] والاسواق ،ونفاقه او قلة خروجه...)) [٣٧] ،وذلك لتحقيق الموازنة في جباية الخراج وان كانت الاراضي الزاعية مختلفة في قربها وبعدها من الاسواق والموانيء التي تصرف فيها البضائع، لأن مَن كانت ارضه بعيدة لابد ان يدفع اجور لنقل منتجاته خلافاً لمن كانت ارضه قريبة من مراكز التصريف للمنتجات، وبذلك يضمن الجميع عدم التفاوت في الاستفادة المادية من ريع انتاجهم لأن الدولة وضعت هذا الموضوع بعين الأعتبار في فرضها الخراج ، كما يستشف من النص السابق بان الخليفة ووزيره تدارسا نوعية المحصول في فرض الخراج حتى لا تتساوى الأنواع الجيدة مع الأنواع الأقل جودة وهذا يعكس لنا الدقة والحذر في تحديد تلك المقادير.

كما حرص المهدي على تعيين عمالاً للخراج في الأمصار الاسلامية[٣٨] ،ممن وثق بأمانتهم وعدالتهم ليضمن جبايتهم للأموال بشكل سليم بعيداً عن الأبتزاز او تحصيل الأموال بغير وجه شرعي، ومن الشخصيات الكفوءة التي تولت الخراج نذكر على سبيل المثال لا الحصر (عمارة بن حمزة)[٣٩] ، الذي قُلد ديوان خراج البصرة وأرضها، فوصف بأنه:((... أحد الكتاب البلغاء، ...، وكان سخياً جواداً...))[٤٠]،كما اشتهر بـ((...فضله وبلاغته وكفايته ،.... وله تصانيف ...معدودة في كتب الفصاحة الجيدة... كان...سرياً جليل القدر، رفيع النفس ،كثير المحاسن، وله أخبار حسان...))[٤١] ،الأمر الذي دفع المهدي الى توليته خراج البصرة[٤٢].

وتابع الخليفة المهدي جبايات الخراج التي تجبى من الأمصار المختلفة، وكان يدقق في حساباتها ويحاسب المقصرين في واجباتهم،على نحو محاسبته عامل الموصل(موسى بن مصعب الخولاني)[٤٣]عندما لاحظ نقص في الخراج الذي ارسله، فوجد فيه نقص خراج ضيعة من ضياع الموصل تعرف باكبريتا[٤٤] ، الأمر الذي دفعه الى استدعاء عامل الموصل للقدوم له على وجه السرعة، حيث مقره في بغداد،فما إن وصله أمر الخليفة حتى أسرع بالوفود إليه، الى حد أن دخل بثياب السفر إلى مجلس الخليفة ،فأستفسر منه الخليفة عن سبب نقصان خراج تلك الضيعة، فوضح للخليفة بأنها ضُمت إلى ضيعة أخرى ودُمج خراجها مع خراج تلك الضيعة لأنهما يرجعان في ملكيتهما لرجل واحد، فاستحسن الخليفة ذلك الإجراء وأوعز الى عامله بالعودة الى أعماله[٤٥].مما يعكس لنا دقة المهدي وتيقظه وحرصه على معرفة المقادير الحقيقية لواردات الخراج لتي تنصب كمورد رئيس من موارد الدولة،وبذلك عالج الخليفة سلبيات فرض الخراج في العهود السابقة له.

ب-إقدامه على حفر الأنهار وموارد المياه:

وكان للخليفة المهدي خطوة رائده لاستصلاح الأراضي الزراعية واستثمارها ،وذلك بتوفير موارد المياه لها،من خلال قيامه بشق الأنهار لسقي تلك الأراضي مما يهيئ الفرصة لازدهار النشاط الزراعي ،وزيادة الانتاج ،ومن الأنهار التي حفرها نهر الصلة،وهو من أعمال واسط ، وكان لحفر هذا النهر ابلغ الأثر في إحياء الأراضي التي على جانبيه ورصد ريع الأراضي التي يرويها هذا النهر لصلات اهل الحرمين والنفقة عليهم، وكان شرط لمن يؤلف عليه من المزارعين أن يقاسموا عليه على الخمسين خمسين عاماً ،اما أذا انقضت الخمسون عاماً لم يلزموا على الشرط المشترط عليهم [٤٦]،كما حفر نهر آخر في جانب الرصافة عُرف بنهر المهدي واشتهر ايضاً بأسم نهر الخالص ،ولعل إجراء الخليفة ذلك لضمان إرواء بعض الأراضي الزراعية في جانب الرصافة [٤٧] ،وعملت القناطر ومنها قنطرة على نهر المهدي نُسبت الى بعض بنات الخليفة المهدي[٤٨] ،وكانت لجهوده تلك ثمارها في إحياء أراضي موات ،وبالتالي إدرار موارد اضافية لبيت المال، والمساهمة في رفع مستوى معيشة ملاك الاراضي والعاملين فيها وزيادة فاعلية الأراضي الزراعية، من خلال طرح انتاجها وتسويقه الى الاسواق.

وخطى المهدي خطوة رائده في مضمار تشجيع الزراعة وتوفير موارد الإرواء للأراضي الزراعية ولعامة الناس من خلال قيامه بحفر الحفائر لإيصال المياه الى المناطق الجبلية على نحو حفر حفائر تدعى ذا بقر [٤٩]،لإيصال المياه الى جبل اسود البرم من ارض الحجاز الذي يفصله عن الربذة[٥٠] بحدود عشرون ميلاً[٥١]، مما هيأ

فرصة لاستثمار الجبال وامكانية قيام نشاط زراعي في تلك الأنحاء[٥٢].

كما اقدم المهدي على حفر الآبار في الحجاز للاستفاده منها لاستثمار الاراضي حولها،ولتوفير مياه الشرب للوافدين إلى تلك الأنحاء وإنقاذهم من الهلاك عطشاً[٥٣].

ج-اهتمامه بأراضي الصوافي :

وهي الأراضي التي كانت مُلكًا لـ(كسرى)[٥٤] او لإل كسرى، أو كانت لرجل قتل في الحرب، أو رجل لحق بأهل الحرب او مغيض ماء اودير بريد[٥٥] .

ولعل سبب تسميتها باراضي الصوافي ذلك لأن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) استصفاها وجعلها لبيت المال ،واستمرت هذه التسمية وهذا الإجراء الذي عومل به هذا الصنف من الأراضي إبان حكم بني العباس ،بحيث تكون تحت تصرف الخليفة وفقاً لما يراه من المصلحة العامة، لذلك نجد ان الخليفة المهدي أبدى اهتماماً بأراضي الصوافي وحرص على استثمارها للاستفادة من مواردها وفقاً لما يراه من المصلحة العامة ،فخصص بعض موارد أراضي الصوافي لبعض الفئات التي تستحق النفقة والمساعدة [٥٦] .فاسهم في تفريج كرب المحتاجين والمعوزين،من ريع تلك الاراضي التي استلزم الحفاظ على ديمومة استثمارها والعناية بها لضمان موارد الانفاق التي تأتي من خلالها .

د- منح القطائع لبعض الفئات:

ان القطائع لها معنيان، أحدهما أن يعمد الإمام الجائز الأمر والطاعة إلى قطعة من الأرض يفرزها عما يجاورها، ويهبها لمن يرى، ليعمرها وينتفع بها، وذلك اما أن يجعلها منازل يسكنها ويسكنها من يشاء، واما أن يجعلها مزدرعاً ينتفع بما يحصل من غلّتها، ولا خراج عليه فيها، وربما جعل على مزدرعها خراج[٥٧]، وهذا الصنف من القطائع تنطبق على القطائع التي وهبها المنصور والمهدي ،لاسيما في بغداد ومحالها[٥٨] ، اما الصنف الآخر من القطائع هي: ((أن يقطع السلطان مَن يشاء من قوّاده وغيرهم، القرى والنواحي، ويقطع عليهم عنها شيئاً معلوماً يؤدّونه في كل عام، قلّ أو كثر، توقر محصولها أو نزر، لا مدخل للسلطان معه في أكثر من ذلك))[٥٩]، وهذا الصنف ايضاً اقدم المهدي على منحه من منطلق إكرام بعض الفئات لجهودها في خدمة الدولة ، او لتميزها في وظائفها فضلاً عن اعتبارات أخرى حملت الخليفة المهدي على منح الاقطاعات لبعض الشخصيات في عهده ،وهذا بطبيعة الحال مثل خطوة إصلاحية ساهم بها هذا الخليفة في رفع المستوى المعاشي لأولئك الأفراد، وخلق حافزاً لديهم لإستثمار الاقطاعات التي مُنحت لهم من قبل الخليفة، مما انعكس ايجاباً على الأرض وما يُنتج ويُدر منها إلى الأسواق، فضلاً عن اتيانها بمردود مادي جديد للمقطع ،مما اسهم في تحقيق الانتعاش الاقتصادي في الدولة،ومن القطائع التي منحها المهدي اقطاعه عيون الماء منها عين بأضم[٦٠] ،التي أُقطعت للـ(مغيرة بن خبيب) [٦١] وكانت تُعرف بعين النيق [٦٢].

ومن القطائع التي منحها المهدي والتي مثلت احدى مظاهر تكريمه لضيوفه منحه الأراضي المميزة ،والتي كان لها دور في اضافة اراضي مستثمرة عامرة ضاعفت الانتاج واكدت على الرفاهية في عهد المهدي،ومن ذلك نص يشير ان احد بطارقه[٦٣] الروم واسمه طارات بن الليث بن العيزرا بن طريف بن القوق بن مروق كان قد قدم الى بغداد اعجاباً بالخليفة المهدي الذي امعن في القيام بواجب الضيافة معه، وحبب له المهدي المقام في بغداد مبيناً له طبيعتها الخلابة وجودة مناخها، قائلا له: ((ولك الكرامة ما اقمت ،والحباء اذا شخصت ،وبلادنا هذه بلاد ريف وطيب، فأقم بها ما طابت لك ثم بعد ذلك فالأذن اليك ،وامر الربيع[٦٤] بإنزاله وإكرامه فأقام أشهرا ...))[٦٥].ويبدو أن ضيف

الخليفة أعجب بطبيعة بغداد وبالحياة الاقتصادية فيها ،وما تخللها من نشاط زراعي، ومناظر خلابة تاقت نفسه لها وهو يتنزه في منطقة براثا[٦٦]، وبينما اجتاز الى الصراة[٦٧] فوقع نظرة على مكان وقف ساعة يتأمله ،إلى حد ان لفت انتباه الموكلين بالمكان ثم انصرف بعد ذلك إلى الربيع وطلب منه أن يُقرضه خمسمائة ألف درهم ،وعندما سأله الربيع عن سبب حاجته إلى المال كاشفه برغبته ان يبني للخليفة مستغلاً[٦٨] يدر بحدود خمسمائة ألف درهم في السنة ،فأكد له الربيع انه طالما عزم على تنفيذ مشروع للخليفة فانه غير مخول ان يتصرف دون مطالعة الخليفة بالأمر،فلما ابلغ الربيع الخليفة بذلك، أمر الخليفة بالاستجابة لطلب البطريق وأوعز ان يُصرف له خمسمائة الف وخمسمائة الف وجميع ما يريده ، وعندما استلم البطريق المبلغ باشر ببناء الأرحاء[٦٩] المعروفة بأرحاء البطريق ،واكراماً لجهود البطريق وحسن نواياه أمر المهدي ان تدفع غلة تلك الأرحاء الى البطريق ما دام حياً،فاستمر يستلم غلة الارحاء الى وفاته عام ١٦٣هـ/٧٧٩م وبعد موته أمر المهدي ان تضم الى مستغله وكان الرحا من احسن المواضع ،فالدور من تحتها والاسواق من فوقها ويجري فيها ماء غزير [٧٠]. وبذلك اسهمت خطوة الخليفة والبطريق في تحقيق الازدهار الاقتصادي في البقعة التي بني فيها الارحاء واسهم في نفع البطريق وتعمير ارض من بغداد كانت مواردها في النهاية ضمن مستغلات الخليفة .

ومن القطائع التي منحها المهدي قطيعة (الربيع) التي كانت إقطاعا من الخليفة للربيع[٧١]، وكانت هذه القطيعة بالكرخ تمثل مزارع الناس من قرية يقال لها بياوري من أعمال بادوريا[٧٢]، وهما قطيعتان خارجة وداخلة، فالداخلة أقطعه إياها المنصور، والخارجة أقطعه إياها المهدي، وكان التجار يسكنونها[٧٣].

ومن أشكال القطائع الأخرى التي جاد بها الخليفة المهدي إقطاعه الآبار لبعض الأشخاص،و من بينها بئر معاوية بين عسفان[٧٤] ومكة ،والذي اقطعه لوزيره أبو عبيد الله معاوية فسمي البئر باسمه وعدت هذه القطيعة نوعاً من التكريم الذي أغدق به الخليفة عند تقليد المناصب [٧٥]،وهذه القطائع سواء أكانت أراضي أم عيون وآبار بطبيعة الحال لابد أنها عمت بالنفع على المقطعين، وعلى كل من استفاد من مناهلها، وبذلك فان المهدي نال اجر وثواب مَن سُقي من تلك المناهل واسهم في توفير موارد المياه ليس للناس فحسب بل للأراضي القربية منها ،فأسهمت خطوة الخليفة تلك بإحيائها وازدهارها وبالتالي انعكس على وفرة الإنتاج .

ومن مبادرت المهدي الإصلاحية هي خطوته في رد القطائع التي صودرت قبل عهده إلى أصحابها سواء من أفراد الأسرة العباسية أو الآخرين [٧٦].

ه-إحياؤه مبدأ الإحماء[٧٧]:

من خطوات الخليفة المهدي المهمة في الإصلاح الاقتصادي أباح مبدأ الإحماء لإبل الصدقة، وهو آخر خليفة اقر مبدأ الإحماء،علماً ان الإحماء برز إبان العهود الاسلامية المبكرة ،وكان الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) قد حمى الربذة[٧٨] لابل الصدقة ،وفي العهود اللاحقة توقف العمل بالحمى الى ان تولى الخليفة المهدي فاطلق مبدأ الإحماء لولاته لذلك اقدم (جعفر بن سليمان)[٧٩] بعد ان ولاه الخليفة على المدينة ، بإعادة العمل بالحمى وتحديداً حمى الربذة [٨٠].

ونجد ان هذا الخليفة حرص على توفير موارد المياه في المواضع التي دخلت ضمن نطاق الحمى ،ومن ذلك نجده يأمر بحفر عين ماء في منطقه(حمى فيد) ،التي تمثل

احدى المحطات في نجد وتقع في طريق الحجاج العراقيين ،وكانت منطقة عامرة بالاسواق والبرك والنخيل والعيون التي كان للخليفة المهدي الدور الرائد في رعايتها وديمومتها [٨١].وبذلك نجد ان عناية المهدي طالت حتى ابل الصدقة التي خصص لها اراضي عامرة بالعشب لترعى بها ولايحق لاحد ان يتجاوز عليها.

٢-تشجيعه الصناعة والتجارة :

تعد الصناعة والتجارة من المرتكزات الرئيسة لدعم النشاط الاقتصادي في كل مكان وزمان، وقد التفت الخليفة المهدي إلى هذين الجانبين فعمد إلى السبل الكفيلة لدعم الصناعة والتجارة في عهده ، لاسيما انه وهب الأموال والعطايا للناس الذين تنافسوا في البناء والسكن في جانب الرصافة ،على الرغم من ان جانب بغداد الغربي كان قد شهد بناء الاسواق العامرة ونشاط التجارة ،منذ عهد المنصور الا ان جانب بغداد الشرقي اخذ يتفوق على الجانب الغربي إبان حكم الخليفة المهدي فوصفت أسواق الرصافة بانها عامرة بأصناف التجارات والصناعات والبيوع[٨٢] سيما ان المهدي عمد إلى تشجيع الصناعات المحلية والسماح بإقامة المصانع في مختلف الانحاء ، ومنها في عاصمة الخلافة بغداد،ونشطت مصانع الالبسة في عهده حتى كان يشتري اعداد كبيرة من الثياب ويفرقها على مستحقيها [٨٣] ،هذا فضلاً عن مصانع الزجاج التي قطعت شوطاً متقدماً في جودة مصنوعاتها الزجاجية ،والتي ظهرت بأشكال مختلفة[٨٤] .

وكان لتزايد الإنتاج الأثر الفاعل في نشاط الحركة التجارية بالأسواق التي حظيت باهتمام هذا الخليفة ،فنجد ان المهدي أراد ان ينظم عمليات البيع والشراء وان يحول دون تكدس البضائع بأيدي بعض التجار على حساب آخرين، لذلك فرض ضريبة على الحوانيت عام ١٦٧ه/ ٧٨٣ م[٨٥]،واستحدث اسواق جديدة في جانب الرصافة، ومن الأسواق التي أمر الخليفة ببنائها سوق العطش الذي أوعز إلى (سعيد الخرسي)[٨٦] ببنائه في اكبر محلة من محلات الجانب الشرقي من بغداد بين الرصافة ونهر المعلى[٨٧] ، وكان المهدي عند تمام بنائه قد أوعز بتسميته بسوق الري إلا إن تسمية سوق العطش قد غلبت عليه ،لان المتعطش لأية بضاعة يجد ضالته في هذا السوق الذي حول إليه كل ضرب من التجار[٨٨].

ان توفر المنتوجات الزراعية والصناعية مهد السبيل لنشاط التجارة الداخلية والخارجية سيما ان هذا الخليفة قد شجع النشاط التجاري فنجده يزيد فاعلية التبادل التجاري للاسواق فنظم المهدي عمليات تصدير المنتوجات عبر الموانئ وراعى قرب مناطق الانتاج وبعدها عن الموانئ[٨٩] كما اشترى من اسواق بغداد عدد كبير من المصنوعات وصدرها الى الحجاز لينفقها على مستحقيها[٩٠]،وبذلك فكان احد عوامل النشاط التجاري في اسواق بغداد حالة الرفاه المادي الذي عاش في ظله سكان بغداد ابان حكم المهدي مما كان مؤشر لظهور الترف في المجتمع وميل الى البذخ والاسراف [٩١] ،سيما ان هذا الخليفة كان تواقاً لبناء المزيد من الاسواق وتوسيعها وذلك لتواكب الازدهار الزراعي والصناعي بما يتناسب وحالة التقدم العمراني الذي شهدته بغداد فاصبحت بغداد مضرب الامثال في اسواقها ومحلاتها وهذا مانوه له الخطيب البغدادي عندما قال:((لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها، وفخامة أمرها، وكثرة... محالها، وأسواقها وطيب هوائها، وعذوبة مائها، وبرد ظلالها وأفيائها، واعتدال صيفها وشتائها، وصحة ربيعها وخريفها، وزيادة ما حصر من عدة سكانها))[٩٢].

٣- سك عملة نقدية جديدة:

حرص الخليفة المهدي على سك نقود جديدة لتكون تحت متناول القائمين بالعلميات المصرفية، ومن ذلك ضرب دراهم جديدة مدورة فيها نقطة[٩٣] نقش عليها اسمه ولقبه وهو اول خليفة ينقش اسمه على الدراهم ،وفي تلك الخطوة الاقتصادية مغزى إعلامي، هدف من خلاله التأكيد على قوة مركزه الاقتصادي، وليس السياسي حسب ،كما توخى معالجة واحتواء الأزمات المالية التي شهدتها الدولة العباسية قبل عهده[٩٤].

وهناك مؤشر بزيادة ميزانية بيت مال الخاصة في عهد الخليفة المهدي الذي رصد هذه الاموال لسد متطلبات الانفاق على المشاريع ومؤسسات الدولة وقت الحاجة اليها[٩٥].

٤- استحداث الدواوين المتعلقة بالجانب الاقتصادي :

لقد خطى الخليفة المهدي خطوات رائدة لتفعيل النشاط الاقتصادي ،من خلال استحدث بعض الدواوين التي أشرفت على مهام الدواوين الاخرى ونظمت عملها ،منها ديوان الزمام[٩٦] وكانت مهمة هذا الديوان مراقبة عمل الدواوين ومن بينها الدواوين المتعلقة بوجوه الصرف والإنفاق كديوان الخراج[٩٧] ،وإمعاناً في تحري الخليفة للدقة والنزاهة في عمل الدواوين وضع عليها دائرة رقابية عليا مرتبطة به شخصياً، متمثلة باستحداثه ديوان زمام الأزمة وذلك عام١٦٨ه/ ٧٨٤م والذي عهد له المراقبة والاشراف على عمل ديوان الزمام ودوره الرقابي على الدواوين الأخرى[٩٨] ،وبذلك ضمن الخليفة تحقيق نهضة اقتصادية في ربوع الخلافة العباسية عم نفعها ورفاهيتها على العاملين في الميدان الاقتصادي ،وعلى بيت المال و كافة اطياف المجتمع العباسي ،الذين طالهم من موارد الدولة ما يسد احتياجاتهم او يتلائم مع جهودهم في خدمة المجتمع.

٥- توظيفه الجانب السياسي لإدرار موارد اقتصادية:

يبدو لنا حرص الخليفة المهدي على توفير الموارد المالية للدولة بشتى الطرق والأساليب ،ومن بين وسائله في هذا الصدد توظيفة الجانب السياسي لخدمة الناحية الاقتصادية ،وذلك بإلزامه بعض الأطراف التي خضعت لسلطة بني العباس بدفع الضرائب لبيت المال، والتي اتخذت اشكالاً مختلفة و،من ذلك فرض على اهل النوبة[٩٩] في كل سنة ثلثمائة رأساً وستين زرافة على أن يعطوا قمحاً وخلاً وثياباً وفرشاً أو قيمة ذلك والتي مثلت ضريبة البقط[١٠٠] الا انهم ادعوا بدون دليل أنه لايجب عليهم البقط لكل سنة ،وأنهم طولبوا بذلك في خلافة المهدي ،فرفعوا إليه أن هَذا البقط مما يأخذون من رقيق أعدائهم فإذا لم يجدوا منه شيئا عادوا عَلَى أولادهم، فأعطوا منهم بهذه العدة ،فأمر بأن يحملوا في ذلك عَلَى أن يؤخذ منهم لكل ثلاث سنين بقط [١٠١].

ومهما يكن من أمر فان هذه الضريبة قد درت بمورد إضافي إلى بيت المال استفيد منه في أوقات الحاجة للنفقة على المرافق المختلفة ،كما ان عمال المهدي استمروا في اخذ الاتاوة[١٠٢] على حكام الأقاليم الخاضعة لهم على حسب قوة الخراج وضعفه [١٠٣].

٦-اثر الانتعاش الاقتصادي في عهد المهدي على وجوه الصرف والإنفاق :

إن الرخاء الاقتصادي الذي شهدته الخلافة العباسية بجهود الخليفة المهدي انعكس ايجاباً على كل ميادين الحياة ابان سني حكمه ،فنجد تزايد موارد بيت المال بشكل كان له ابلغ الأثر في رفع المستوى المعاشي لمختلف فئات المجتمع فأنفقت الخلافة على العلماء وشجعتهم على الإبداع في علمهم ونتاجهم الذي رفدوا به الحضارة الاسلامية[١٠٤] ،كما انفق المهدي على الفقراء والمحتاجين،وطال دعمه المرضى ،وحتى المساجين ،ناهيك عن

الصرف على المؤسسة العسكرية والمشاريع العمرانية في البلاد،وبـرَّ أهلـه وأقربـاءه ومواليه وذوي الحرمة له، وأخرج لأهل بيته أرزاقاً لكل واحد منهم في كل شهر خمس مائة درهم،و لكل رجل ستة آلاف درهم في السنة، وأخرج لهم في الأقسام لكل رجل عشرة الآف درهم وزاد[١٠٥] ،وكانت المحصلة ثناء المصادر على حكمه وما تحقق في خضمه من انجازات ،ولنا ان نقف على ما قيل بحقه :((كانت دولة المهدى ...محمودة ففرّق ...أموالاً لا تحصى... ما لم يسمع بمثله أبداً ...))[١٠٦].

ولعل هذا مؤشر ودليل على الرفاهية والرخاء الذي شهده بيت المال بسبب اصلاحات المهدي في ميدان الاقتصاد الذي ثرك آثار ملموسة في سياسته الانفاقية في مختلف الجوانب ،مما يبرهن لنا قيمة وفاعلية الاصلاح الاقتصادي في بناء المجتمع.

الخاتمة

من خلال استعراضنا موضوع(إجراءات الخليفة المهدي في ميدان الإصلاح الاقتصادي بالدولة العباسية ١٥٨-١٦٩ه/٧٧٤-٧٨٥م)

تبين لنا ما ياتي :

-ان التدهور الاقتصادي في الدولة الاموية كان عاملاً رئيساً في سقوط الامويين وانتصار العباسيين ووصولهم إلى سدة الحكم، بعد ان وعدوا الناس بتحقيق الإصلاح الاقتصادي المنشود وانقاذهم من جور الامويين الذين بخسوهم حقوقهم المادية ،والتي اعتبرها الدعاة خللاً بيّناً في الإدارة الأموية وكانت معول هدم في حكم بني أمية افقدهم تأييد الرعية .

-ان سياسة المهادنة التي ركن اليها المهدي واسلوبه الدبلوماسي عُدَّ عاملاً مهماً في نجاح جهوده الإصلاحية، سيما وان عهده لم يشهد ثورات او حركات مناوئه،مما هيأ له الفرصة لتوظيف واستثمار الجانب الاقتصادي لدعم حالة الهدوء السياسي التي سعى لها من خلال مضاعفة موارد الانفاق لكسب خصومه ،او ضمان حيادهم بأسلوب الترضية المادية.

-شخّص الخليفة المهدي مواضع الخلل في الميدان الاقتصادي وحدد السلبيات والإخفاقات في هذا الجانب من خلال الاستعانة بمشورة اهل الرأي والخبرة الذين شدوا من ساعده في خطواته الإصلاحية في هذا الجانب ،سيما وزيره ابو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار.

-كانت الزراعة في طليعة الأمور التي استحوذت على اهتمام الخليفة المهدي، لأنها من الأعمدة الرئيسة التي يقوم عليها الاقتصاد ،فسعى المهدي لتحسين أداء الأراضي الزراعية وزيادة الموارد المتأتية منها ،دون إلحاق ضرر بملاك الأراضي فعالج الخلل في نظام الخراج وغيّر نظام الخراج من نظام المساحة الذي فُرض منذ العصر الراشدي في سواد العراق الى نظام المقاسمة ،بعد أن وجد إن السعر قد رخُص فلم تعد الغلال تفي بخراجها، فان طريقة الجباية السابقة لم تعد تصلح للمرحلة التي تولى بها العباسيون الحكم ،وقد راعى في تغييره نظام الجباية نوعية المحصول الذي تزرع به الأرض وطريقة الإرواء ،وبُعد المناطق الزراعية عن الاسواق والموانيء ليضمن جباية عادلة لايتضرر من خلالها بيت المال أو المزارع ويضمن حقوق الطرفين دون إجحاف من منطلق لأضرر ولاضرار .

-عين عمال خراج أكفاء عُرفوا بأمانتهم ونزاهتم على الأمصار، ليضمن جباية الخراج بشكل عادل،وتابع بنفسه مقادير الجبايات لهذا المورد وكان يحاسب عمال الخراج إن ظهر خلل في المقادير التي يرسلونها إلى بيت المال لمنعهم من الرشوة او احتجاز الأموال لحسابهم الخاص ،لأن هذا مورد ينتفع به الجميع .

– وفرَّ مصادر الإرواء للأراضي الزراعية من خلال قيامه بشق الأنهار ،ومنها نهر الصلة من اعمال واسط، ونهر المهدي لإرواء الاراضي الزراعية التي يمر بها هذين النهرين ،وكان لخطوته تلك أثرها في إحياء الأراضي الموات واستثمارها وزيادة انتاجها.
كما أمر بحفر الآبار في المناطق الجبلية بالحجاز لتوفير فرصة لاستثمار الجبال وزراعتها،واهتم المهدي باراضي الصوافي العائدة لكسرى واهل بيته او لرجل فرَّ من الحرب والتحق بالعدو فهذه الاراضي استصفاها الخليفة ووهبها لمن يشاء فنجد ان المهدي استثمر بعض هذه الاراضي بزراعتها وتخصيص ريعها لمساعدة الفقراء والمحتاجين،كما منح جزء منها لبعض الفئات للاستفادة منها.
– اقدم المهدي على منح القطائع لبعض الفئات في المجتمع والتي اتخذت أشكال مختلفة اما اراضي زراعية او عيون ماء او آبار او إرحاء ليبنى عليها دور او حوانيت وكانت لتلك القطائع اثرها في تحقيق انتعاش اقتصادي ،بفضل جهود المستثمرين في استثمارها وتوظيفها بما يعود بالنفع عليهم وعلى المجتمع بأسره.
–أبدى الخليفة المهدي اهتماماً ملموساً بالصناعة والتجارة فنجده قد شجع الصناعات المختلفة من خلال توفير رؤوس الأموال للعاملين، وسعى الى بناء الأسواق لتصريف منتجات الزراعة والصناعة سيما في جانب الرصافة ، التي شهدت اسواقاً عامرة بأصناف البضائع ،وشجع عمليات التصدير ،وحرص على منع تكدس البضائع بأيدي فئة من التجار عندما حدد ضرائب على الحوانيت .
–حرص على توفير العملة النقدية من خلال سك دراهم جديدة مدورة نقش عليها اسمه وهو اول خليفة يسك هذا النوع من الدراهم ،واقدم المهدي على استحداث دواوين جديدة ارتبطت بالجانب الاقتصادي، ومنها ديوان الزمام وهو ديوان المراقبة الذي يتولى مراقبه الدواوين ويشخص الخلل فيها ومعاقبة المقصرين ،ومن بين الدواوين التي خضعت لديوان المراقبة ،الدواوين التي تعنى بالشئون المالية ومنها ديوان الخراج، كما استحدث ديوان زمام ألازمة ليراقب عمل ديوان الزمام ويحاسبه عند تهاونه في عمله فأوجد سلطة رقابية على الدواوين، ضمن من خلالها تنظيم عمل الدواوين بشكل سليم بعيد عن الاجحاف او التقصير في اعمالها .
–وظف الخليفة مقدرته السياسية في تحصيل موارد اضافية يستعين بها بيت المال في وجوه الصرف والانفاق، من خلال فرضه الضرائب على الأنحاء التي تغلّب عليها، ممن لم يُسلم اهلها كضريبة البقط التي فُرضت على النوبة ،فضلاً عن الاتاوات التي أُخذت من بعض الانحاء الخاضعة لبنى العباس ،
فاسهمت تلك الانجازات الاصلاحية في توفير موارد دارة لبيت المال استعان بها الخليفة المهدي في تجهيز المؤسسة العسكرية بارزاق الجند ،والنفقة على العلماء واكرامهم ،ومساعدة المرضى والمحتاجين، والإنفاق على المشاريع العمرانية بشكل عكس من خلاله الرفاه المادي الذي تمتع به المجتمع العباسي في ظل حكمه.

Abstract

The procedures of the Caliph Mahdi in the field of economic reform in the Abbasid state

(AH / 774-785 AD 169-158)

By Anisa Mohammed Jassim

This is a study dealing with the procedures of the Caliph al-Mahdi in the field of economic reform in the Abbasid state (158-169 AH / 774-785 AD), and the reason for the choice of economic reform because of the importance of the economic aspect in the dependence of all institutions on the resources of the economy in keeping with its affairs. The Abbasid state in a concrete way, identified the imbalances in the economic field and identified the negatives in this aspect, and sought to improve the performance of agricultural land, changed the system of abscess from the area system to the system of the division, to ensure fair collection, and appointed efficient abscess workers, and provided sources of irrigation for agricultural land, P He has encouraged the various industries, sought to build markets for the disposal of agricultural and industrial products, encouraged export operations, ensured the availability of currency and introduced new ones linked to the economic aspect.

الهوامش

(١) بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون،وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوةً وصلحاً ،وقد اختلف في تسميتها بذلك فقال دغفل النسابة: خرج خراسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح (عليهما السلام)، لما تبلبلت الألسن ببابل فنزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه، يريد أن هيطل نزل في البلد المعروف بالهياطلة، وهو ما وراء نهر جيحون، ونزل خراسان في هذه البلاد التي ذكرناها دون النهر فسميت كل بقعة بالذي نزلها، وقيل: خر اسم للشمس بالفارسية الدرية وأسان كأنه أصل الشيء ومكانه، وقيل: معناه كل سهلا لأن معنى خر كل وأسان سهل.(ينظر:ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)،معجم البلدان، ط٢(بيروت،دار صادر،١٤١٧ه/ ١٩٩٥ م)،ج٢،ص٣٥٠).

(٢) ينظر :الطبري،ابوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي(ت ٣١٠ه/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٠٧ه / ١٩٨٦ م)،ج٤،ص١٤٤.

(٣) ينظر:ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن احمد الأنصاري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)،لسان العرب، تحقيق:عبد الله علي الكبير وآخرون،(القاهرة،دار المعارف،بلا.ت)، ج٦،ص٤٩٢١

(٤) فرضت الجزية على اهل الذمة والعهد والامان،وضرب الجزية إثباتها وتقديرها ،ويُسمى المأخُوذ ضريبة فعلية بمعنى مفعولة ،جمعها ضرائِب وقد وجبت الجزية بنص،وهي موضوعة على الرءُوس واسمُها مشتق من الجزاء، إما جزاءً على كُفرهِم، لأخذِها منهم صغارًا، وإما جزاءً على أمان المسلمين لهُم لِأخذِها مِنهُم رفقًا.(ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (القاهرة، دار الحديث، بلا.ت)، ص٢٢١؛

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ه/١٢٧٧م)،تحرير ألفاظ التنبيه ،تحقيق: عبد الغني الدقر،(دمشق،دار القلم ،١٤٠٨ه/ ١٩٨٧م)،ص٣١٨

(٥) ينظر :الماوردي،الاحكام السلطانية،ص٣١٨.

(٦) وهو مافرض على رقاب الارض ،ويعد مال فيء يُصرف في أهل الفيء،ويجب بحلول الحول ولايستحق قبله، وإن الخراج لم يحدد بنص قرآني بل ترك لاجتهاد الامام،وهو مُلزم على المسلم والمشرك ولايسقط بدخول الاسلام .(ينظر:الماوردي ، الاحكام السلطانية،ص٢٢١ وما بعدها).

(٧) ينظر: عمر،فاروق طبيعة الدعوة العباسية،(بغداد، مكتبة الفكر العربي للنشر ،١٤٠٨ه/١٩٨٧م)،ص١٣١ ومابعدها.

(٨) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، امه ريطة بنت عبد المدان الحارثي،كنيته ابو العباس ، ،اول خلفاء بني العباس ،بويع بالخلافة في الكوفة عام ١٣٢ه/٧٤٩م،بنى مدينة هاشمية الانبار ،وصفى خصومه الأمويين ،ولقب بالسفاح لكثرة الدماء التي سفكت في عهده وقيل لأنه كان سخياً كريماً ،يسفح المال ،توفي بمرض الجدري بهاشمية الانبار عام ١٣٦ه/ ٧٥٣م (ينظر: ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)،تاريخ خليفة بن خياط،تحقيق: أكرم ضياء العمري،ط٢(بيروت،مؤسسة الرسالة،١٣٩٧ه/ ١٩٧٦م)،ص٤٠٩؛ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)،المحبر،(بيروت،مؤسسة الرسالة،بلا.ت)،ص٣٣.

(٩) وهم ذرية حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ،بطن من بني امية من قبيلة كنانة القرشية العدنانية،وهم الفرع السفياني الذي ينحدر منه بعض الخلفاء الامويين، ومنهم معاوية بن ابي سفيان بن حرب .(ينظر:ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى،تحقيق: إحسان عباس،(بيروت،دار صادر، ١٣٨٨ ه/ ١٩٦٨ م)،ج٧،ص٤٠٦؛ ابن خياط، الطبقات،ط٢(الرياض ،دار طيبة،١٤٠٢ه/١٩٨٢م)،ص٢٩٧؛ابن حزم الاندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)،جمهرة أنساب العرب،تحقيق: لجنة من العلماء،(بيروت، دار الكتب العلمية ،١٤٠٣/١٩٨٣م)،ص١١١؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي،(بيروت،دار الجيل، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)،ج٢، ص٧١٤.

(١٠)وهم ذرية مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ،احد بطون بني امية ،ويمثلون الفرع المرواني الذي ينحدر منه بعض خلفاء بني امية .(ينظر: ابن سعد،الطبقات الكبرى،ج٥،ص٣٥؛ البخاري،ابو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)،التاريخ الكبير،(حيدر آباد الدكن،مطبعة دائرة المعارف العثمانية،بلا.ت)،ج٧،ص٣٦٨؛ابن حزم الاندلسي،جمهرة انساب العرب،ص٨٧).

(١١) الطبري،تاريخ الرسل ،ج٧،ص٤٢٦.

(١٢) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، كنيته أبو سليمان عم الخليفة السفاح والمنصور،كان خطيباً فصيحاً، ولاه السفاح على الكوفة، ثم عزله فولاه مكة والمدينة والطائف واليمامة، وهو أول من أقام الحج للناس في ظل حكم بني العباس وتحديدا ً عام ١٣٢ه/٧٤٩م،وكانت وفاته عام١٣٣هـ/٧٥٠م.(ينظر:ابن خياط ،تاريخ خليفة ،ص٤٠٤، ٤١٢ وما بعدها؛ابن حبيب،المحبر،ص٣.

(١٣) وهو كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال، ولا بأيجاف خيل ولا ركاب، فهو كمال الهدنة والجزية وأعشار متاجرهم، أو كان واصلا بسبب من جهتهم كمال الخراج.(ينظر:الماوردي،الاحكام السلطانية،ص٢٠٠).

(١٤) الطبري،تاريخ الرسل،ج٤،ص٣٤٨.

(١٥) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، كنيته ابو جعفر، ولد بالحميمة ، أمه أم ولد بربرية اسمها سلامة،ولي الخلافة بعد وفاة اخيه السفاحعام ١٣٦ هـ/ ٧٥٣م ،اتصف بالحلم والعلم ،واكرم العلماء،كما اتخذ موقفاً متشدداً مع خصومه السياسيين ،وارسى دعائم الدولة ببنائة العاصمة بغداد

عام ١٤٥هـ/٧٦٢م، توفي ببئر ميمون في مكة وهو محرم، عام ١٥٨ه/ ٧٧٤م ونقش خاتمه: الله ثقة عبد الله وبه يؤمن، وكان عمره ثلاثًا وستين سنة، وخلافته إحدى وعشرون سنة، وأحد عشر شهرًا، وثمانية أيام.(ينظر:الطبري،تاريخ الرسل ،ج٤،ص٣٧٥؛الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)،تاريخ بغداد او مدينة السلام،تحقيق: بشار عواد معروف،(بيروت،دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م)،ج١١،ص٢٤٤ .

(١٦) للتفاصيل عن بناء بغداد ينظر:الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد،ج١،ص٣٧٥ ومابعدها؛ابن الجوزي،ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ه/ ١٢٠٠م)، مناقب بغداد،تصحيح وتعليق :محمد بهجة الاثري،(بغداد ،مطبعة دار السلام،١٣٤٢ه/ ١٩٢٣م)،ص٧ومابعدها.

(١٧) بنى الرصافة عام ١٥١هـ /٧٦٨م ،واستتم البناء عام ١٥٤هـ / ٧٧٠م،وقيل عام ١٥٩ه/ ٧٧٥م اكمل بناء الرصافة وجميع مافيها ،وسميت الرصافة بهذا الاسم وذلك من رصف الحجارة عند البناء ،واتخذت معسكراً للمهدي ثم اصبحت مقر خلفاء بني العباس على اثر تحول المهدي اليها عندما تقلد الخلافة .(ينظر:الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج١،ص٣٩٣؛ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٣،ص٤٦).

(١٨) هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ،يكنى أبا عبد الله ،وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية،ولد عام ١٢٧هـ/ ٧٤٤ م واستخلف يوم مات المنصور بمكة، فأمر المهدِي بالنداءِ بالرصافةِ: إن الصلاة جامِعةٌ، وخطب فنعى المنصُورُ، وأمر ببناء مسجد الرصافة، وخط حائطها، وخندق خندقها، اهتم بالجانب العلمي واكرم العلماء بحفاوة بالغة ،وقدم الدعم الاجتماعي لفئات الناس المختلفة ، ولم يشهد عهده فتوق او خوارج لسياسة التهدئه التي اتبعها ،توفي ببغداد في قرية ماسبذان عام تسع وستين ومائة للهجرة. وكان طويلاً، أسمر، جعداً، بعينه اليمنى نكتة بياض،وكان نقش خاتمه العزة لله.(ينظر: الطبري،تاريخ الرسل،ج٤،ص٥٤٤؛الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج٣،ص٣٨٢).

(١٩) الطبري،تاريخ الرسل،ج٤،ص٥٤١.

(٢٠) ينظر: م.ن ،ج٤،ص٥٥٨.

(٢١) ينظر: الماوردي ، الأحكام السلطانية ،ص٢٢١ وما بعدها.

(٢٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)،مسند الإمام أحمد بن حنبل،تحقيق: شعيب الأرنؤوط واخرون،(بيروت،مؤسسة الرسالة،١٤٢١ هـ /٢٠٠١ م)،ج٥،ص٥٥.

(٢٣)ينظر الماوردي ،الاحكام السلطانية ،ص٢٢١.

(٢٤) ينظر: م.ن،ص٢٦١ وما بعدها.

(٢٥) ابو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)،الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي،ط٢(بيروت،دار الكتب العلمية ،١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م)،ص١٨٥.

(٢٦) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري بالولاء ،أصله من طبرية ،وكان خيراً فاضلاً عالماً، كتب للمهدي قبل الخلافة رسمه لهُ المنصور، وكان جميع أمر المهدي إليهِ، فلا يخالفه فِي شيء، ثُم وزر لهُ،وفوض إليه تدبير االبلاد والدواوين، واستمر على ذلك إلى أن تولى الربيع بن يونس حجابة المهدي، فأفسد ثقة المهدي به، فعزله، وتوفي ببغداد، ودفن بمقبرة قريش عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. (ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت ،دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)،ج٨،ص٣٣٦؛كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)،معجم المؤلفين،(بيروت ،دار احياء التراث العربي،بلا.ت)،ج١٢،ص٣٠٤).

(٢٧) ينظر:الماوردي،الاحكام السلطانية،ص١٣٥.

(٢٨) مكيال مقداره أربعة أقفزة، وما يبذر فيه هذا القدر من الأرض يقال له: جريب، وقيل انه ثلاثة الاف وستمائة ذراع ،وقيل ان مقداره يختلف باختلافِ البُلدان ، وقيل الجريب المزرعة .(ينظر:الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)،أساس البلاغة،تحقيق: محمد باسل عيون السود،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)،ج١،ص١٢٩؛الزبيدي، ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (الرياض، دار الهداية، بلا.ت)، ج٢، ص١٤٨.

(٢٩) قدامة بن جعفر ، ابو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت٣٣٧ه/ ٩٤٨ م)،الخراج وصناعة الكتابة، (بغداد،دار الرشيد للنشر، ١٤٠٢هـ /١٩٨١ م)،ص٢٢٣.

(٣٠) وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم ، والقموص حصن أبي الحقيق، وحصن الشق، وحصن النطاة، وحصن السلالم، وحصن الوطيح، وحصن الكتيبة، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر، غزاها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عام سبعة للهجرة ، فطاولته أهلها وماكثوه وقاتلوه فحصرهم قريباً من شهر، ثم أنهم صالحوه على حقن دمائهم، وترك ذراريهم ،وعلى أن يجلوا ويخلوا بينه وبين الارض، الا ما على أجسادهم والا يكتموه شيئا، فخمس رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الغنيمة من الارض وغير ذلك، وقسم الباقي بين المسلمين، وكانت من أرض خيبر الكتيبة بحق الخمس، والشق والنطاة وسلالم والوطيحة للمسلمين، ولم يكن للمسلمين فراغ للقيام على الارضين فدعا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من نزل على الجلاء من أهل خيبر الى القيام بها على أن يكفوا العمل فيها ،ولهم النصف وللمسلمين النصف من الزرع والنخل، وكان عبد الله بن رواحة يصير اليهم في كل عام فيخرص عليهم ثم يخيرهم بين أن يخرص ويختاروا أو يخرصوا ويختار فقالوا: بهذا قامت السماوات والارض.(ينظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان،(بيروت،دار ومكتبة الهلال، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٨م)،ص٣٢؛قدامة ،الخراج،ص٢٥٨؛ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٢،ص٤١٠).

(٣١) الدلا: جمعُ دلاة: وهو الدلو الصغيرة، ودلوتُها، وادليتها: إذا أرسلتها لتستقي بها،وقيل: أدلاها: بمعنى ألقاها لِيستقى بها، ودلاها: جذبها ليُخرجها، والدالِيةُ: شيء يُتخذُ من خُوصٍ وخشب يستقى به بحبالٍ تشد في رأس جذع طويلٍ تسقي بها الارض.(ينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)،المحكم والمحيط الأعظم،تحقيق:عبد الحميد هنداوي،(بيروت،دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م)،ج٩،ص٤٢٦).

(٣٢) مفردها :الدولابُ والدولابُ، كلاهُما على شكل الناعُورة يُستقى بها الماءُ.(ينظر:م.ن،ج٩،ص٣٣٦).

(٣٣) قدامة،الخراج،ص٢٢٣.

(٣٤) ينظر:أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، الخراج، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد وسعد حسن محمد،(القاهرة،المكتبة الأزهرية للتراث،بلا.ت)،ص٦١؛الماوردي،الاحكام السلطانية،ص٢٦٢).

(٣٥) قدامة،الخراج،ص٢٢٣.

(٣٦)هي محط السفن.(ينظر:الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ط٤(بيروت،دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)،ج٣،ص١٠٩٧).

(٣٧) قدامة،الخراج،ص٢٣٣.

(٣٨) ينظر:ابن خياط، تاريخ خليفة ،ص٤٤٠؛اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢ه/ ٩٠٤م)،البلدان،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م)،ص١٣٩،الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (ت بعد ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م)،كتاب الولاة وكتاب القضاة ،تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣)،ص٩١، ٩٥.

(٣٩)هو عمارة بن حمزة بن مالك بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله ،كان من موالي السفاح ثم مولى أبي جعفر المنصور، معدوداً في سراة الناس، الا انه كان أعور دميماً، وكان المنصور والمهدي يقدمانه ،ولي البصرة وفارس والأحواز واليمامة والبحرين والعروض، واليه تنسب دار عمارة في بغداد توفي عام ١٩٩ هـ/ ٨١٤م. (ينظر: ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)،عيون الاخبار،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٤١٨ه/١٩٩٧م)،ج٤،ص٨٠؛الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج١٤،ص٢١٦؛ ابن حمدون ، أبو المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي البغدادي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)،التذكرة الحمدونية،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٤١٧ه/١٩٩٥م)،ج٢،ص٤٦).

(٤٠) الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج١٤،ص٢١٦.
(٤١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٤١٤ه/١٩٩٣م)،ج٥،ص٢٠٥٤ ومابعدها.
(٤٢) م.ن،ج٥،ص٢٠٥٧.
(٤٣) هو مُوسى بن مُصعب الخثعمي ،اشارت الروايات انه ولي الموصل اولاً ،ثم امر المهدي بتوليته على مصر صلاتها وخراجها عام ١٦٧هـ/٧٨٣م ،وتشدد مُوسى بن مُصعب فِي استخراج الخراج، وزاد على كل فدان ضِعف ما تُقبل بِهِ، وجعل خراجاً على أهل الأسواق، وعلى الدواب فأظهر الجُند الكراهة والشنآن لموسى، وكان قد بعث عُمالًا على الحوف فأخرجهم أهل الحوف ونابذوه، ومضى مُوسى بن مُصعب فِي جُند مصر كلهم وفيه وُجُوه الناس، فساروا حتى نزلوا العُرِيرا وأقبل إليهم أهل الحوف يمنها وقيسها، فلما اصطفوا ونشِبت بينهم الحرب انهزم أهل مِصر بأجمعهم وأسلموا مُوسى بن مُصعب، فبقِي فِي طائفة يسيرة ممن كان قدِم بهم فلم يثبت معه أحد من أهل مصر إلا خالِد بن يزيد بن إسماعيل التجيبي، وكان صاحب أمره والمستولي عليهِ، وقُتل مُوسى بن مُصعب عام ثمانية وستين ومائة للهجرة ، فكانت ولايته عليها عشرة أشهُر.(ينظر: الكندي،كتاب الولاة وكتاب القضاة،ص٩٥).
(٤٤) لم نقف على موقعها بشكل محدد فيما اطلعنا عليه من مصادر.
(٤٥) الازدي ،ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس (ت ٣٣٤ه/ ٩٤٥م)،تاريخ الموصل،تحقيق:احمد عبد الله محمود،(بيروت،دار الكتب العلمية،٢٠٠٦ه/١٤٢٧م)،م١،ص٤٧٠.
(٤٦) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م)،المسالك والممالك،(بيروت، دار صادر،بلا.ت)،ص٢٤١.
(٤٧) سمي بنهر الخالص نسبة الى اسم كورة الخالص التي وصفت انها كورة عظيمة شرقي بغداد. (ينظر:اليعقوبي، البلدان ،ص٤٤؛ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج٢،ص٣٣٩).
(٤٨) ابن الفقيه الهمداني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت ٣٦٥ ه/٩٧٥م)،البلدان،تحقيق:يوسف الهادي (بيروت،عالم الكتب، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م)،ص٣٠٨.
(٤٩) موضع قرب خفان،وقرون بقر في ديار بني عامر المجاورة لبني الحارث بن كعب، كانت فيه وقعة، وذو بقر: واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة في الحجاز.(ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٤٧١).
(٥٠) قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق، على طريق الحجاز للراحل من فيد باتجاه مكة.(ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٣،ص٢٤).
(٥١) الميل ثلاثة آلاف ذراع بذراع الملك، والذراع ثلاثة أشبار، والشبر ست وثلاثون إصبعاً ،والإصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض،وقيل الميل جزء من ثلاثة أجزاء من الفرسخ، وقيل: الميل ألفا خطوة وثلاثمائة وثلاث وثلاثون خطوة، وأما أهل اللغة فالميل عندهم مدى البصر ومنتهاه.(ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٣٦).
(٥٢) ينظر:البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)،معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،ط٣(بيروت،عالم الكتب،١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)،ج٢،ص٦٣٥).
(٥٣) قدامة،الخراج ،ص٣٥٢.
(٥٤) هو الملك الساساني كسرى انو شروان بن قباذ، ملك بعد ابيه،و قسم كسرى انوشروان المملكة اربعه ارباع، وولى كل ربع رجلاً من ثقاته، فاحد الارباع: خراسان، وسجستان، وكرمان، والثانى: أصفهان، وقم، والجبل، واذربيجان، وأرمينية، والثالث: فارس، والاهواز الى البحرين، والرابع: العراق الى حد مملكه الروم،وافتتح الكثير من البلاد وضمها تحت سلطانه.(ينظر:الدينوري،أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)،الاخبار الطوال،تحقيق: عبد المنعم عامر،(القاهرة،مطبعة عيسى البابي الحلبي،١٣٨٠ه/١٩٦٠م)،ص٦٨).
(٥٥) يحيى بن ادم، أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الكوفي (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) ، الخراج،(القاهرة ،المطبعة السلفية ومكتبتها،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)،ص٦١.
(٥٦) ينظر:الطبري تاريخ الرسل ج٤، ،ص٥٥٨
(٥٧) ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٤٤.

(٥٨) م.ن،ج١،ص٤٤.
(٥٩)م.ن،ج ١،ص ٤٣.
(٦٠) ماء بين مكة واليمامة عند السمينة، وقيل: ذو إضم جوف هناك به ماء وأماكن يقال لها الحناظل، وله ذكر في سرايا النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، وقيل إضم واد بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، ويسمى من عند المدينة القناة، ومن أعلى منها عند السد يسمى الشظاة، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى إضما.(ينظر:م.ن ،ج١،ص٢١٤).
(٦١) هو المُغِيرةُ بنُ خُبيبِ بنُ ثابت بن عبد اللهِ بن الزبير بن العوام، الأسدي، المدني،أحد الأشراف، وفد على الخليفة المهدي ومعهُ أخوه فأكرمهما، فاختص المُغِيرةُ بالمهدِي وأحبه،وأعطاه المهدِي أموالا عظِيمة ،وقيل ان المُغِيرة تزوج بامرأةٍ، فأصدقها عنهُ المهدي بجواهر ثمينة .(ينظر : الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج١٥،ص٢٥٦؛ الذهبي،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،تحقيق: عمر عبد السلام التدمري،ط٢(بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م)،ج١٠،ص٤٦٩.
(٦٢) البكري،معجم ما استعجم ،ج١،ص١٦٦.
(٦٣) هو القائد من قواد الروم ممن له المقام الأول عند الامبراطور تحت يده عشرة الاف رجل، وهذا اللقب اطلق على أشراف المملكة عند الرومان وكان أرثيًا فجعله الملك قسطنطين شخصيًا، يمنح لكل من أشتهر بخدمة الامبراطور.(الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، القاموس المحيط،تحقيق: مكتب تحقيق التراث ،ط٨(بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)، ص٨٦٨؛رضا،احمد، معجم متن اللغة،(بيروت، دار مكتبة الحياة ،١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م)،ج١،ص٣٠٦.
(٦٤) هو ابو الفضل الربيع بن يونس بن مُحمد بن أبي فروة، كان حاجب أبي جعفر المنصور ومولاه ثُم صار وزيره، ثُم حجب للمهدي، وهُو الذِي بايع المهدي وخلع عيسى بن مُوسى من ولاية العهد، ومن ولده الفضل حجب لهارون الرشيد ولولده الامين، وابنه عباس بن الفضل حجب لمحمد الأمين، فعباس حاجب ابن حاجب ابن حاجب، وقيل: إن الربيع بن يونس وزر للمنصور وللهادي ولم يزر للمهدي، وإنه مات فِي أول عام سبعين ومائة للهجرة.(ينظر:الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج٩،ص٤٠٣).
(٦٥) ياقوت الحموي،معجم البلدان ،ج٣،ص٣٢
(٦٦) محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ ،وجنوبي باب محول، وكان لها جامع .(ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٣٢٦).
(٦٧) وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحول بينها وبين بغداد فرسخ، ويسقي ضياع بادوريا ويتفرع منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد فيمر بقنطرة العباس ثم قنطرة الصبيبات ثم قنطرة رحا البطريق ثم القنطرة العتيقة ثم القنطرة الجديدة ويصب في دجلة ، وأما أهل الأثر فيقولون: الصراة العظمى حفرها بنو ساسان بعدما أبادوا النبط.(ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٣،ص٣٩٩).
(٦٨) مُستغل والجمع مستغلات: تطلق عامة على كل ما يؤتي غلة أي دخلاً ،كالحقل والدار والحانوت وصفقة البيع والطاحونة ، وتطلق بخاصة على الحقل المزروع . (ينظر:دوزي،رينهارت بيتر آن (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م)، تكملة المعاجم العربية ،نقله الى العربية:محمد سليم النعيمي،(بغداد،وزارة الثقافة والاعلام،١٩٧٩هـ/٢٠٠٠م)،ج ٧،ص٤٢٠).
(٦٩) الرحى: قِطعةٌ من الأرض تستديرُ وترتفعُ على ما حولها. (ينظر:القالي،ابو علي القالي اسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦ م)، المقصور والممدود،تحقيق:أحمد عبد المجيد هريدي ،(القاهرة،مكتبة الخانجي ، ١٤١٩ هـ /١٩٩٩م)،ص٨١.
(٧٠)ينظر: ابن الفقيه الهمداني ،البلدان،ص٣٠٤؛ياقوت الحموي،معجم البلدان، ج٣،ص٣٢.
(٧١) ابن الفقيه الهمداني،البلدان ،ص٢٩٣.
(٧٢) وهي طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد، وكل ما كان من شرقي السراة فهو بادوريا ،وما كان في غربيها فهو قطربل وكان من استقل من الكتاب ببادوريا استقل بديوان الخراج ،ومن استقل بديوان الخراج استقل بالوزارة، وذلك لأن معاملاتها مختلفة وقصبتها الحضرة، والمعاملة فيها مع الأمراء والوزراء والقواد والكتاب والأشراف ووجوه الناس.(ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٣١٧).
(٧٣) م.ن،ج٤،ص٣٧٧.

(٧٤) سميت عسفان لتعسف السيل فيها ،وعسفان منهل من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة.(ينظر:م.ن،ج٤،ص١٢١).
(٧٥) م.ن ،ج١ ،ص٣٠٢.
(٧٦) ينظر:الطبري،تاريخ الرسل،ج٤،ص٥٥٨.
(٧٧) مشتقة من حمى حميتُهُ حِماية، إذا دفعت عنه، وهذا شئ حمى، على فعل، أي محظور لا يقرب.(ينظر:الجوهري، الصحاح،ج٦،ص٢٣١٩).
(٧٨) من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق، على طريق الحجاز للراحل من فيد الى مكة، وفي عام ٣١٩ هـ/ ٩٣١م خربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها وبين ضرية ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل عن الربذة أهلها فخربت، وكانت من أحسن المنازل في طريق مكة.(ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٣،ص٢٤).
(٧٩) هو جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى العباسى، ولي المدينة للمنصور، وولي مكة والطائف واليمامة للمهدي ، وقام بعدة اصلاحات منها بلط الحجر بالرخام، وشرع أبواب المسجد على المسعى،وله مآثر كثيرة ووقف على المنقطعين،كان حياً إلى عام أربع وسبعين ومائة للهجرة .(ينظر: الطبري،تاريخ الرسل ،ج ٤،ص٤٩٢،ص٥٦٣ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) ،تاريخ دمشق،تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي،(بيروت،دار الفكر ،١٤١٧هـ / ١٩٩٥ م)،ج٧٢،ص١١٧).
(٨٠) السمهودي، ابو الحسن نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي(ت ٩١١ه/١٥٠٥م)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى،(بيروت، دار الكتب العلمية ،١٤١٩ ه/١٩٩٨م)،ج٣،ص٢٢٤
(٨١) م.ن،ج٣،ص٢٣١.
(٨٢) اليعقوبي،البلدان، ص٤٥،ص٤٨ .وللوقوف على تفاصيل نشاط اسواق بغداد بجانبيها الغربي والشرقي ينظر: الكبيسي،حمدان عبد المجيد ،اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٣٤ هـ/٢٠١٣ م،ص١١٣ وما بعدها).
(٨٣) ينظر:الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م)،تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (بيروت،دار صادر ،بلا.ت)،ج٢،ص٣٣٠.
(٨٤) عبد الخالق،هناء،الزجاج الاسلامي،(بغداد،دار الحرية للطباعة، ١٣٩٦هـ /١٩٧٦ م)،ص٥٨.
(٨٥) الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج١،ص٣٩١.
(٨٦) لم نقف على ترجمه وافية له فيما اطلعنا عليه من مصادر سوى انه صاحب الشرطة ببغداد واليه تنسب مربعة الخرسي ببغداد .(ينظر:ابن ماكولا، أبو نصر سعد الملك علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م)، تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام،تحقيق: سيد كسروي حسن،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٤١٠ه/،١٩٨٩م)،صص٢٢٣-٢٢٤.
(٨٧) هو نهر يدخل من باب بين، يستمد مياهه من نهر الخالص فيسير تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة، وهو المسمى بالفردوس، نسب إلى المعلى بن طريف مولى المهدي، وكان من كبار قواد الرشيد جمع له من الأعمال ما لم يجمع لأحد، ولي المعلى البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين.(ينظر: ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٥،ص٣٢٤).
(٨٨) ينظر:الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج١،ص٤٠٩؛ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٣،ص٢٨٤
(٨٩) ينظر:قدامه ،الخراج،ص٢٢٣.
(٩٠)ينظر: الديار بكري،تاريخ الخميس، ج٢،ص٢٣٠
(٩١) ينظر :الكبيسي،اسواق بغداد،ص ١١٥.
(٩٢) تاريخ بغداد،ج١،ص٤٤٠.
(٩٣) المقريزي،تقي الدين احمد بن علي(ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م)،إغاثة الأمة بكشف الغمة،تحقيق:محمد مصطفى زيادة وآخرون،(القاهرة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، ص٥٩
(٩٤) ينظر:الكبيسي، حمدان عبد المجيد ،النشاط المصرفي في الدولة العربية الاسلامية دراسة في تاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي،(بغداد،شركة السرمد للطباعة المحدودة ،١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م)،ص٥٨.
(٩٥) ابن الزبير،احمد بن علي بن ابراهيم الغساني(٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)،الذخائر والتحف،تحقيق:محمد حميد الله،(الكويت،مطبعة حكومة الكويت، ١٣٧٩هـ /١٩٥٩ م)، ص٢١٣.
(٩٦) الطبري،تاريخ الرسل،ج٤،ص٥٨٢.

(٩٧) ينظر :م.ن، ج٤،ص٥٨٢.
(٩٨) م.ن، ج٨،ص١٦٧.
(٩٩) النوبة بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان جلبوا إلى مصر فيباعون بها، وكان الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، صالح النوبة على أربعمائة رأس في السنة، وقد مدحهم النبي، (صلى الله عليه واله وسلم)، واهل النوبة نصارى ، ومدينة النوبة: اسمها دمقلة وهي منزل الملك على ساحل النيل، وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة، ومن دمقلة إلى أسوان أول عمل مصر مسيرة أربعين ليلة، ومن أسوان إلى الفسطاط خمس ليال، ومن أسوان إلى أدنى بلاد النوبة خمس ليال، وشرقي النوبة أمة تدعى البجه ، وبين النوبة والبجة جبال منيعة شاهقة، وكانوا أصحاب أوثان، والنوبة أصحاب إبل ونجائب وبقر وغنم ولملكهم خيل عتاق وللعامة براذين ويرمون بالنبل عن القسي العربية، وفي بلدهم الحنطة والشعير والذرة، ولهم نخل وكروم ومقل وأراك، وبلدهم أشبه شيء باليمن، وعندهم أترنج مفرط العظم، وملوكهم يزعمون أنهم من حمير، وفي بلادهم ينبت الذهب وعندهم يفترق النيل .(ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٥،ص٣٠٩).
(١٠٠) البقط: وهي ضريبة تقبض من سبي النوبة في كل عام، وتحمل إلى مصر ضريبة عليهم، فإن كانت هذه الكلمة عربية، فهي إما من قولهم في الأرض بقط من بقل وعشب، أي نبذ من مرعى، فيكون معناه على هذا نبذة من المال ،أو يكون من قولهم، إن في بني تميم، بقطاً من ربيعة أي فرقة أو قطعة، فيكون معناه على هذا، فرقة من المال، أو قطعة منه، ومنه بقط الأرض، فرقة منها، وبقط الشيء: فرقه،والبقط: أن تعطي الحبة على الثلث أو الربع، والبقط أيضاً: ما سقط من التمر إذا قطع،وكان يؤخذ منهم في قرية يقال لها: القصر، مسافتها من أسوان خمسة أميال فيما بين بلد بلاق وبلد النوبة، وكان القصر فرضة لقوص، وأول ما تقرر هذا البقط على النوبة في إمارة عمرو بن العاص، لما بعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح، بعد فتح مصر إلى النوبة عام عشرين لهجرة، وقيل: عام واحد وعشرين للهجرة في عشرين ألفا، فمكث بها زمانا، فكتب إليه عمرو يأمره بالرجوع إليه،فلما مات عمرو نقض النوبة الصلح الذي جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد، وكثرت سراياهم إلى الصعيد، فأخربوا، وأفسدوا، فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهو على إمارة مصر في خلافة عثمان (رضي الله عنه)، سنة إحدى وثلاثين للهجرة، وحصرهم بمدينة دنقلة حصاراً شديداً، ورماهم بالمنجنيق، ولم تكن النوبة تعرفه وخسف بهم كنيستهم بحجر، فبهرهم ذلك، وطلب ملكهم واسمه: قليدوروث الصلح، وخرج إلى عبد الله وأبدى ضعفا ًومسكنة وتواضعا، فتلقاه عبد الله ورفعه وقربه، ثم قرر الصلح معه على ثلثمائة وستين رأسا في كل عام، ووعده عبد الله بحبوب يهديها إليه لما شكا له قلة الطعام ببلده، وبعث إليهم عبد الله بن سعد، ما وعدهم به من الحبوب، قمحاً وشعيراً وعدسا ًوثياباً وخيلا، ثم تطاول الرسم على ذلك.(ينظر:البلاذري،فتوح البلدان،ص٢٣٥؛ابن خرداذبة،المسالك والممالك،ص٢٦٥؛المقريزي،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٤١٨هـ/١٩٩٧م)،ج١،ص٣٦٩).
(١٠١) البلاذري،فتوح البلدان،ص ٢٣٥.
(١٠٢) وتحمل معنى الجزية والخراج وهدية الملك.(ينظر:الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ه/ ١٠٣٧م)، فقه اللغة وسر العربية،تحقيق: عبد الرزاق المهدي،(بيروت،دارإحياء التراث العربي،١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)،ص٢١٣؛الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج ،موت الألفاظ في العربية،ط٢٩(المدينة المنورة،الجامعة الإسلامية ،١٤١٩هـ/١٩٩٨م)،ص٤٥٢.
(١٠٣) قدامة،الخراج ،ص٤٠٠.
(١٠٤) ينظر: المشهداني،انيسة محمد جاسم ،رعاية الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء ١٣٢-٣٣٤هـ/ ٧٤٩-٩٤٥م ،(بغداد، دار الكتب العلمية ،/ ٢٠١٣م)،ج١،ص٢٠٠وما بعدها.
(١٠٥)ينظر: الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج٣،ص٣٨٢ .
(١٠٦) الديار بكري،تاريخ الخميس ،ج٢،ص٣٣٠.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً-المصادر الاولية:

الازدي ،ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس (ت ٣٣٤ه/ ٩٤٥م).
١-تاريخ الموصل،تحقيق:احمد عبد الله محمود،(بيروت،دار الكتب العلمية،٢٠٠٦ه/١٤٢٧م).
البخاري،ابو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).
٢-التاريخ الكبير،(حيدر آباد الدكن،مطبعة دائرة المعارف العثمانية،بلا.ت).
البكري ،أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).
٣-معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،ط٣(بيروت،عالم الكتب،١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).
البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
٤- فتوح البلدان،(بيروت،دار ومكتبة الهلال، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٨م).
الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ه/ ١٠٣٧م).
٥- فقه اللغة وسر العربية،تحقيق: عبد الرزاق المهدي،(بيروت،دارإحياء التراث العربي،١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).
ابن الجوزي،ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ه/ ١٢٠٠م).
٦-مناقب بغداد،تصحيح وتعليق :محمد بهجة الاثري،(بغداد ،مطبعة دار السلام،١٣٤٢ه/ ١٩٢٣م).
٧ -المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت ،دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م).
الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م).
٨-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ط٤(بيروت،دار العلم للملايين،١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م).
ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م).
٩ -المحبر،(بيروت،مؤسسة الرسالة،بلا.ت).
ابن حزم الاندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م).
١٠ -جمهرة أنساب العرب،تحقيق: لجنة من العلماء،(بيروت، دار الكتب العلمية ،١٤٠٣/١٩٨٣م).
ابن حمدون ، أبو المعالي بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي البغدادي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م).
١١-التذكرة الحمدونية،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٤١٧ه/١٩٩٥م).
ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م).
١٢-مسند الإمام أحمد بن حنبل،تحقيق: شعيب الأرنؤوط واخرون،(بيروت،مؤسسة الرسالة،١٤٢١ هـ /٢٠٠١ م).
ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م).
١٣-المسالك والممالك،(بيروت، دار صادر،بلا.ت).
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)
١٤-تاريخ بغداد او مدينة السلام،تحقيق: بشار عواد معروف،(بيروت،دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م).
ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م).
١٥-تاريخ خليفة بن خياط،تحقيق: أكرم ضياء العمري،ط٢(بيروت،مؤسسة الرسالة،١٣٩٧ه/ ١٩٧٦م).
١٦-الطبقات،ط٢(الرياض ،دار طيبة،١٤٠٢ه/١٩٨٢م).
الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م).
١٧-تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (بيروت،دار صادر ،بلا.ت).
الدينوري،أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م).
١٨-الاخبار الطوال،تحقيق: عبد المنعم عامر،(القاهرة،مطبعة عيسى البابي الحلبي،١٣٨٠ه/١٩٦٠م).
الذهبي،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

١٩-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،تحقيق: عمر عبد السلام التدمري،ط٢(بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م).
الزبيدي، ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).
٢٠-تاج العروس من جواهر القاموس،تحقيق: مجموعة من المحققين،(الرياض ،دار الهداية،بلا.ت).
ابن الزبير،احمد بن علي بن ابراهيم الغساني(٥٦٢هـ/ ١١٦٦م).
٢١-الذخائر والتحف،تحقيق:محمد حميد الله،(الكويت،مطبعة حكومة الكويت، ١٣٧٩هـ /١٩٥٩ م).
الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م).
٢٢-أساس البلاغة،تحقيق: محمد باسل عيون السود،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).
ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م).
٢٣-الطبقات الكبرى،تحقيق: إحسان عباس،(بيروت،دار صادر، ١٣٨٨ ه/ ١٩٦٨ م).
السمهودي، ابو الحسن نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي(ت ٩١١ه/١٥٠٥م).
٢٤-وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى،(بيروت، دار الكتب العلمية ،١٤١٩ ه/١٩٩٨م).
ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).
٢٥-المحكم والمحيط الأعظم،تحقيق:عبد الحميد هنداوي،(بيروت،دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).
الطبري،ابوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت ٣١٠ه/٩٢٢م) .
٢٦ - تاريخ الرسل والملوك، (بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٠٧ه / ١٩٨٦ م).
ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).
٢٧ -الاستيعاب في معرفة الأصحاب،تحقيق: علي محمد البجاوي،(بيروت،دار الجيل، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م).
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) .
٢٨-تاريخ دمشق،تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي،(بيروت،دار الفكر ،١٤١٧هـ / ١٩٩٥ م).
ابن الفقيه الهمداني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت ٣٦٥ ه/٩٧٥م).
٢٩-البلدان،تحقيق:يوسف الهادي (بيروت،عالم الكتب، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) .
الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م).
٣٠-القاموس المحيط،تحقيق: مكتب تحقيق التراث ،ط٨(بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).
القالي،ابو علي القالي اسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦ م).
٣١-المقصور والممدود،تحقيق:أحمد عبد المجيد هريدي ،(القاهرة،مكتبة الخانجي ، ١٤١٩ هـ /١٩٩٩م).
ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
٣٢-عيون الاخبار،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٤١٨ه/١٩٩٧م).
قدامة بن جعفر ، ابو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت٣٣٧ه/ ٩٤٨ م).
٣٣-الخراج وصناعة الكتابة،(بغداد،دار الرشيد للنشر، ١٤٠٢هـ /١٩٨١ م).
الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (ت بعد ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م)
٣٤-كتاب الولاة وكتاب القضاة ،تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣)
ابن ماكولا، أبو نصر سعد الملك علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م).
٣٥ -تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام،تحقيق: سيد كسروي حسن،(بيروت،دار الكتب
العلمية،١٤١٠ه/،١٩٨٩م).
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م).

٣٦-الأحكام السلطانية والولايات الدينية،(القاهرة،دار الحديث،بلا.ت).
المقريزي،تقي الدين احمد بن علي(ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م).
٣٧-اغاثة الأمة بكشف الغمة،تحقيق:محمد مصطفى زيادة وآخرون،(القاهرة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م).
٣٨-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن احمد الأنصاري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)
٣٩-لسان العرب،تحقيق:عبد الله علي الكبير وآخرون،(القاهرة،دار المعارف،بلا.ت).
النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ه/١٢٧٧م).
٤٠-تحرير ألفاظ التنبيه ،تحقيق: عبد الغني الدقر،(دمشق،دار القلم ،١٤٠٨ه/ ١٩٨٧م).
ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
٤١-معجم الادباء ،تحقيق:احسان عباس،(بيروت،دار الغرب الإسلامي،١٤١٤ه/١٩٩٣م).
٤٢-معجم البلدان، ط٢(بيروت،دار صادر،١٤١٧ه/ ١٩٩٥ م).
يحيى بن ادم، أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الكوفي (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) .
٤٣-الخراج،(القاهرة ،المطبعة السلفية ومكتبتها،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).
اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢ه/ ٩٠٤م).
٤٤-البلدان،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م).
ابو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).
٤٥-الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي،ط٢(بيروت،دار الكتب العلمية ،١٤٢١ هـ / ٢٠٠ م).
أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م).
٤٦- الخراج، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد وسعد حسن محمد،(القاهرة،المكتبة الأزهرية للتراث،بلا.ت).

ثانياً-المراجع الحديثة:

دوزي،رينهارت بيتر آن (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م).
٤٧-تكملة المعاجم العربية ،نقله الى العربية:محمد سليم النعيمي،(بغداد،وزارة الثقافة والاعلام،١٩٧٩هـ/٢٠٠٠م).
رضا،احمد.
٤٧-معجم متن اللغة،(بيروت، دار مكتبة الحياة ،١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م).
الصاعدي،عبد الرزاق بن فراج .
٤٨ -موت الألفاظ في العربية،ط٢٩(المدينة المنورة،الجامعة الإسلامية ،١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
عبد الخالق،هناء.
٤٩-الزجاج الاسلامي،(بغداد،دار الحرية للطباعة، ١٣٩٦هـ /١٩٧٦ م).
عمر،فاروق .
٥٠-طبيعة الدعوة العباسية،(بغداد، مكتبة الفكر العربي للنشر ،١٤٠٨هـ/١٩٨٧ م).
الكبيسي،حمدان عبد المجيد.
٥١-اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٤٣٤ هـ/٢٠١٣ م).
٥٢- النشاط المصرفي في الدولة العربية الاسلامية دراسة في تاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي،(بغداد،شركة السرمد للطباعة المحدودة ،١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م) .
كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
٥٣-معجم المؤلفين،(بيروت ،دار احياء التراث العربي،بلا.ت).
المشهداني،انيسة محمد جاسم .
٥٤-رعاية الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء ١٣٢-٣٣٤هـ/ ٧٤٩-٩٤٥م ،(بغداد، دار الكتب العلمية ،/ ١٤٣٤ ه/٢٠١٣م).